الأبعاد السوسيوثقافية للمباني المدرسية الكولونيالية بالجزائر

د. حسان تريكي
أستاذ محاضر أ ، جامعة الشاذلي بن جديد الطارف، البريد الإلكتروني:hacenetriki@gmail.com

الملخص
تشكل المؤسسة التعليمية فضاءا للتربية والتعليم، فهي تضطلع بوظيفة التنشئة وإعداد أجيال الغد، إنها حقا وظيفة سامية ومقدسة، لذا كان من الضروري أن تحظى هذه المؤسسة الفاعلة باهتمام خاص يعكس المكانة التي تستحقها، ومما لا شك فيه فإن التصميم والشكل الخارجي للمباني العمومية بصفة عامة والمدرسية بصفة خاصة يعكس المكانة والأهمية التي يحظى بها في أي مجتمع، ونظرا للدور الهام الذي تقوم به المدرسة، فلا بد أن يكون المبنى المدرسي في مستوى هذا الدور. انطلاقا من ذلك، تهدف هذه الورقة البحثية إلى رصد وكشف الأبعاد السوسيو ثقافية للمباني المدرسية الكولونيالية بالجزائر، وكذا تسليط الضوء على واقع الهندسة المعمارية المدرسية بالجزائر بعد الاستقلال.
وقد توصلت الدراسة إلى أن المباني المدرسية الكولونيالية بالجزائر، تشترك في العديد من الخصائص المعمارية والتي يمكن دراستها للاستفادة منها. كما أكدت الدراسة أن المباني المدرسية في الجزائر المستقلة، تعاني من أزمة هوية معمارية، حيث لم يؤخذ بعين الاعتبار في تصميمها المقاييس العمرانية والمناخية المناسبة لكل منطقة، ولا الخصوصيات الاجتماعية والقيم الثقافية للمجتمع.
الكلمات المفتاحية: المباني المدرسية، الهندسة المعمارية المدرسية، الهندسة المعمارية الكولونيالية، المدرسة.

Résumé
L’établissement d'enseignement constitue un espace pour l'éducation, il assume la fonction de socialisation et de la préparation des générations de demain, elle est vraiment une fonction sublime et sacré, il était donc nécessaire que cette institution active doit être accordé d'un intérêt particulier qui reflète la place qu'elle mérite. Il ne fait aucun doute que le design extérieur et la forme des bâtiments publics en général et scolaire en particulier reflète le prestige et l'importance attachée à cette institution dans toute société, et compte tenu du rôle important joué par l’école, il doit y avoir un bâtiment scolaire dans le niveau de ce rôle. Sur cette base, cet article vise à détecter les dimensions socio-culturelles des bâtiments scolaires coloniaux en Algérie, ainsi que mettre en lumière la réalité de l''architecture scolaire en Algérie après l'indépendance.
L'étude a révélé que les bâtiments scolaires coloniaux en Algérie partagent de nombreuses caractéristiques architecturales qui peuvent être étudiés pour tirer profit. L'étude a également confirmé que les bâtiments scolaires en Algérie indépendante souffrent d’une crise d'identité architecturale, où on a pas pris en compte dans sa conception les normes urbaines et les conditions climatiques de chaque région, et les particularités sociales et les valeurs culturelles de la société
Mots clés: bâtiments scolaires, *architecture scolaire*, architecture colonial, école
Abstract
The educational institution is a space for education, it assumes the function of socialization and preparation of future generations it's really a sublime and sacred function, so it was necessary that this active institution should be granted to of particular interest that reflects the place it deserves. There is no doubt that the exterior design and shape public buildings in general and education in particular reflected the prestige and importance attached to this institution in any society, and in view of the important role played by the school, there must be a school building in the level of this role. On this basis, this paper aims detect socio- cultural dimensions of the colonial school buildings in Algeria, as well as highlight the reality of school architecture in Algeria after independence.
The study found that the colonial school buildings in Algeria share many architectural features that can be studied to take advantage. The study also confirmed that the school buildings in independent Algeria suffer from an architectural identity crisis, which was not taken into account in its design urban standards and climate conditions of each region , and social particularities and cultural values of society.
Keywords: school buildings, school architecture, colonial architecture, school.

مقدمة:

يشكل التعليم حجر الزاوية في تكوين الفرد حتى يصل إلى التراكمية التربوية بجوانبها المختلفة، والعملية التربوية هي عملية متكاملة ومتعددة الجوانب تستهدف الفرد لتعيد تشكيله فكريا وتكوينه عمليا في الاتجاه الذي تريده. لذا لا يمكن تحقيقها من خلال البرامج والمناهج التعليمية فقط، بل أن الهندسة المعمارية للمباني المدرسية وطريقة تصميمها تلعب كذلك دورا كبيرا في نجاح العملية البيداغوجية، فطريقة تنظيم الفضاء المدرسي، وشكل الأقسام ومساحتها لها تأثير على العملية التربوية، من هنا تتجلى لنا أهمية الهندسة المعمارية المدرسية سواء من الناحية التربوية البيداغوجية أو من الناحية العمرانية والجمالية، انطلاقا من كونها جزء لا يتجزأ من التراث الثقافي المادي، وتشكل المؤسسة التعليمية فضاء للتربية والتعليم، فهي تضطلع بوظيفة التنشئة وإعداد أجيال الغد، لذا كان من الضروري أن تحظى هذه المؤسسة الفاعلة باهتمام خاص يعكس المكانة التي تستحقها. ومما لا شك فيه أن التصميم والشكل الخارجي للمباني العمومية بصفة عامة والمدرسية بصفة خاصة يعكس المكانة والأهمية التي يحظى بها ذلك المرفق في أي مجتمع. وعليه، ونظرا للدور الهام الذي تقوم به المدرسة، فلا بد أن يكون المبنى المدرسي في مستوى هذا الدور، كما يجب أن تتوفر فيه جميع المواصفات حتى يساهم في بلوغ الأهداف المنشودة من العملية التعليمية. وتأسيسا على ذلك وانطلاقا منه تأتي هذه الورقة البحثية لرصد وكشف الأبعاد السوسيو ثقافية للمباني المدرسية الكولونيالية بالجزائر، وهذا من منطلق اعتبار الإرث المعماري الكولونيالي تراثا إنسانيا يمكن دراسته للاستفادة منه، من حيث فن العمارة، وما يختزله من أبعاد ثقافية واجتماعية تتضمنها تفاصيل تصاميمه وهندسته المعمارية المتميزة، مع تفادي الوقوع في فخ تمجيد الاستعمار والتباهي بإنجازاته، كما تحاول هذه الورقة البحثية، تسليط الضوء على واقع الهندسة المعمارية المدرسية بالجزائر بعد الاستقلال.

أولا – مفهوم المباني المدرسية الكولونيالية:

قدم الباحثون العديد التعريفات للمبنى المدرسي، فهناك من عرفه بأنه: المكان المخطّط والمصمّم والمجهّز بمواصفات نموذجيّة من قبل مخطّطين تربويّين ومهندسين مختصّين، تختلف مواصفاته باختلاف المرحلة التّعليميّة، ويتمّ فيه تحقيق أهداف ومتطلّبات التّربية والتّعليم الّتي تستهدف تنمية الطّالب وتربيته وتكوين شخصيّته وتفاعله مع محيط المجتمع والبيئة"(محمد نهاد كردية، 2014) كما يعرفه فاروق شوقي بأنه: "المكان الذي يتم فيه تفاعل الطالب مع أقرانه الطلبة، ومع معلميه ومع الأشياء المادية الأخرى المتوافرة في المدرسة، وفيه يكتسب الطالب خبراته المعرفية ويتشكل سلوكه العام، ويكون اتجاهاته وقيمه الاجتماعية" (فاروق شوقي، 2000، ص 256).

من خلال ما تقدم يمكن تعريف المبنى المدرسي على أنه: المبنى الذي تتم داخله جميع الممارسات التربوية والتعليمية، تم تصميمه بشكل يستجيب بفعالية للمتطلبات البيداغوجية والتربوية المرتبطة بالعملية التعليمية. أما فيما يتعلق بالمباني المدرسية الكولونيالية فيقصد بها المباني المدرسية التي بنيت خلال فترة الاستعمار الفرنسي.

ثانيا– الهندسة المعمارية المدرسية: الأهمية والأبعاد الانسانية

للهندسة المعمارية المدرسية أهمية بالغة، لذا أصبحت تحظى باهتمام العديد من الباحثين في حقول علمية مختلفة، كالهندسة المعمارية، علوم التربية، علم الاجتماع التربوي وعلم النفس المدرسي، وتتجلى لنا أهمية الجانب المعماري للمباني المدرسية في الأبعاد التالية:

1 - البعد الحضاري الثقافي:

تمثل العمارة المدرسية جانبا رئيسيا من ثقافة أي مجتمع، فهي تعتبر من المؤشرات الأساسية لنوعية الحياة ومستوى الرقي والتحضر، إضافة إلى كونها جزء لا يتجزأ من الإطار الحضاري والثقافي للمجتمع. فالمباني المدرسية تشكل أحد العناصر الأساسية للتراث الثقافي المادي، الذي من خلاله تكتمل هوية الفرد؛ فالعديد منها ذو قيمة ثقافية ومعمارية كبيرة، مما جعلها تتحول إلى معالم أساسية تميز المدن التي توجد فيها، بل في حالات عدة تحولت إلى نقاط للجذب السياحي.

2 - البعد التربوي البيداغوجي:

تلعب الهندسة المعمارية المدرسية دورا مهما في نجاح العملية التربوية، حيث تساهم في تسهيل تعلم جميع **الدارسين**، فلا يجب أن تكون جامدة فتؤثر سلبا في تطور البيداغوجيا، وبعبارة أخرى، يجب أن تكون الهندسة المعمارية المدرسية في خدمة المدرسة، إذ تحتاج المدارس إلى معايير وتصاميم خاصة لاشباع حاجات الأطفال، حتى تساعدهم على النمو الجسمي والنفسي والواجداني(Giordan, 2004, P29).

وقد عرفت الهندسة المعمارية المدرسية تطورا عبر مختلف مراحل تطورها، وكان هدفها الأساسي توفير الظروف المناسبة لتحقيق النجاعة والفعالية في العملية التربوية، وقد وصل الأمر في العصر الحالي حتى إلى أخذ رأي المدرسين في ألوان جدران الأقسام التي يدرسون فيها، كما يوجد توجه جديد في المدارس العصرية لإنشاء فضاءات للعمل في أروقة المباني المدرسية، وكذلك تخصيص فضاءات للراحة والاستجمام(Marchan, 2004, P26).

من جهة أخرى فإن تقسيم الفضاءات داخل المدرسة التطور في مجال البيداغوجيا يكتسي أهمية كبرى من الناحية البيداغوجية إذ يحب أن تكون مساعدة للعملية التربوية، وتساهم في السير الحسن لمختلف النشاطات التعليمية، كما أن اتساع الفضاءات وحسن تقسيمها يؤثر ايجابا في انحسار العديد من الظواهر الانحرافية داخل البيئة المدرسية كالعنف المدرسي مثلا، من خلال تسهيلها لعملية المراقبة وفرض الانضباط، من جهة أخرى فإن تهيئة الأقسام وتوفر جميع شروط الراحة فيها من تهوية واضاءة كافية، تعتبر من عوامل مهمة في نجاح العملية البيداغوجية، وتجدر الاشارة إلى أن التطور في مجال البيداغوجيا، قد أدى إلى بروز مفهوم مرونة الفضاء وضرورة تمييز "عمل هندسي معماري لبناية نافعة، أي كيف يمكن أن نحقق ابتكارا خلاقا وأصالة في ميدان البناء المدرسي عندما تتحدد المدرسة كتنظيم حجرات حول الفناء للاستراحة، أي أداة وظيفية بسيطة وسهلة الإنجاز وذلك لكل برنامج (عمارة بكوش، 2015).

3 - البعد النفسي الاجتماعي:

من المعروف أن المبنى المدرسي وتجهيزاته يعتبر عنواناً للمدرسة، وهو أول ما يشاهده الزائر وأول ما يعطي الانطباع عن المدرسة بصورة عامة، وعليه فإن الهندسة المعمارية المدرسية بأناقتها وجمالها، تزيد من قوة جاذبية المدرسة على المستوى النفسي الاجتماعي.

فعلى المستوى النفسي تعتبر العمارة المدرسية الراقية مبعث فخر واعتزاز للمدرسين **والدارسين** فيها على حد سواء، أما على المستوى الاجتماعي فهي تشكل رمزا لمكانة الفرد والعائلة. وفي هذا الاطار يقول الباحث André Giordan" التلاميذ يجب أن يحبوا الأماكن التي يدرسون فيها، واحترام التلاميذ يتجسد من خلال صورة مدرستهم، نحن بحاجة إلى مدرسة نذهب إليها بفرح وسرور"(Marchan, 2004, P 29).

ثالثا- الخصائص الفنية والمعمارية للمبنى المدرسي الكولونيالي بالجزائر:

إن المتأمل في المباني المدرسية الكولونيالية خاصة في كبريات المدن الجزائرية، يجدها تشترك في العديد من الخصائص والمميزات، يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

1 - التصميم والشكل الخارجي:

تتميز المباني المدرسية الكولونيالية بطابعها المعماري الراقي والمتميز، بحيث يعكس المشهد العام للعمارة صورة مبني عمومي رسمي له هيبة خاصة، تميزه عن باقي المباني الادارية والتجارية، ومثال على ذلك ثانوية بيار وماري كيري بعنابة، حيث تبدو في الوهلة الأولى وكأنها مبنى رئاسي فخم، سواء من حيث الشكل الخارجي أو من حيث موقعها الاستراتيجي بقلب المدينة (أنظر الصورة رقم 01).

الصورة رقم 1 : ثانوية بيار وماري كيري بعنابة

Source : https://www.facebook.com/LyceePierreEtMarieCurieAnnabaAlgerie/

كما أن أغلب المباني المدرسية الكولونيالية الكبرى، صممت على شكل عمارة واحدة ضخمة، ويقع أغلبها في أماكن استراتيجية على مستوى الشوارع الرئيسة للمدن، وهنا نضرب مثال بثانويتي الأمير عبد القادر بالجزائر العاصمة وثانوية ابن باديس بوهران (أنظر الصورة رقم 02 و03).

الصورة رقم 2: ثانوية الأمير عبد القادر بالجزائر العاصمة

Source: http://alger-roi.fr/Alger//lycee_bugeaud/pages/vues_lycee_peres.htm

من خلال الصورة رقم 01 التي تظهر الواجهة الأمامية لثانوية بيار وماري كيري بعنابة، وكذا الصورة رقم 02 التي تظهر منظر عام لثانوية الأمير عبد القادر بالجزائر العاصمة، يتضح لنا أن هذين المبنيين المدرسيين، قد تم تصميمهما على الطراز الغربي المعرب، وقد أطلق الفرنسيون على هذا الطراز من البناء إسم Arabisance (ندى الحلاق، 2012، ص 248)، ويظهر ذلك في شكل النوافذ والباب الرئيسي، اضافة إلى الأقواس كما هو الحال بالنسبة للواجهة الأمامية لثانوية الأمير عبد القادر، وهو ما يجعلهما في تناغم مع النسيج العمراني المحلي.

وقد حظيت الواجهات الأمامية للمباني المدرسية الكولونيالية بإهتمام خاص يضفي الطابع الرسمي للمبني ويزيد من جاذبيته وقيمته الجمالية، مثلما هو الحال بالنسبة لثانوية ابن باديس بوهران (أنظر الصورة رقم 03).

الصورة رقم 3: ثانوية ابن باديس بوهران

Source: https://fr.alltravels.com/algerie/oran/oran-rp/photos/courant-photo-86029939

- القيم الجمالية:

لقد أصبحت العديد من المباني المدرسية الكولونيالية، من أهم المعالم الملفتة للنظر، بل أصبحت في بعض الحالات من المعالم المميزة للمدن التي توجد فيها، وهذا نظرا لطابعها المعماري الأنيق والمتميز، فالعديد من المباني المدرسية تشكل تحفة معمارية تسر الناظر إليها، حيث استخدمت فيها زخارف توحي بتمجيد هذا الصرح؛ تزيين جيد للواجهات من خلال استخدام بعض الوحدات التزيينية والقيام بتكرارها بشكل متناسق، مثلما تظهره الصورة رقم: 04 الخاصة بثانوية باستور بوهران .

الصورة رقم 4 : ثانوية باستور بوهران

Source: http://pasteuroran.unblog.fr/2011/01/14/pasteur-oran/

وتظهر العمارة المدرسية كعمارة أنيقة منتظمة ومتناسقة القياسات، تم الاهتمام فيها بشكل خاص بتزين الواجهة الأمامية، والتي توحي بوجود نوع من استعراض للمهارة الحرفية خاصة في مجال الحجر المنحوت، كما لم يتم اهمال عامل التناظر الذي يضفي على المبنى جمالا ورونقا يعكس ابداعا معماريا متميزا، كما هو الحال في ثانوية الحرية بقسنطينة (الصورة رقم: 5).

الصورة رقم 5: ثانوية الحرية بقسنطينة

Source:http://www.constantine-hier-aujourdhui.fr/LesConstantinois/ecoles/laveran.htm

2 ـ تصميم الفراغات المعمارية المدرسية

أما على المستوى الداخلي، فتشترك جميع المباني المدرسية الكولونيالية في فناء واسع تطل عليه جميع الحجرات الدراسية، في تناغم وتناظر ونظام محكم، كما تتوفر العمارة المدرسية، على جميع المواصفات الفنية والمعمارية للمبنى المدرسي، مع توفر المتطلبات الفيزيقية الضرورية على مستوى الأقسام الدراسية؛ نوافذ وأبواب واسعة، اضاءة طبيعية وتهوية كافية، مع مراعاة الجمال والجاذبية في تصميم المبنى من الداخل، مثلما توضحه الصورة رقم: 6

الصورة رقم 6 : منظر داخلي لثانوية بيار وماري كيري بعنابة

Source : https://www.pinterest.com/pin/449374869041635145/

كما أن المتأمل في العمارة المدرسية الكولونيالية، يجدها تشترك في خاصية مشتركة وهي وجود الجناح الاداري عند المدخل الرئيسي، الأمر الذي يسهل عملية الرقابة والمراقبة على مستوى المؤسسة التربوية، كما أن لذلك بعد تربوي نفسي يساهم ترشيد الفضاء المدرسي، وفرض الانضباط وضبط السلوك، بما يتماشى والقوانين الداخلية للمؤسسات التربوية، فوجود الادارة عند المدخل الرئيسي هو بمثابة حاجز وفاصل بين المحيط الخارجي للمدرسة ومحيطها الداخلي الذي يتميز بترشيد السلوك والانضباط، مما يعطي الانطباع للتلميذ عند ولوجه المدخل أنه انتقل إلى فضاء أخر له ضوابط خاصة.

رابعا ـ واقع المبنى المدرسي في الجزائر بعد الاستقلال:

بذلت الدولة الجزائرية مجهودات معتبرة ومتميزة منذ الاستقلال في المجال التربوي، كما حققت سياسة ديمقراطية التعليم ومجانيته أهدافها من خلال إنتشار التعليم وتطوره من الناحية الكمية، فمن أجل تعليم كل فئات الشعب الجزائري، إرتفع عدد المؤسسات التربوية (إبتدائية، متوسطة وثانوية) بشكل ملحوظ، مثلما يوضحه الجدول الآتي:

جدول رقم (01): تطور عدد المؤسسات التعليمية للفترة (1966-2006)

السنة الدراسية	عدد المؤسسات التعليمية	السنة الدراسية	عدد المؤسسات التعليمية
1967-1966	4.752	1985-1984	12.329
1970-1969	5.832	1988-1987	14.322
1975-1974	8.477	1990-1989	15.700
1980-1979	10.115	2006-2005	(*)22.999

المصدر: - من 1966 إلى 1990: الطاهر زرهوني: مرجع سابق، ص 211.

(*) CNES: Rapport national sur développement humain Algérie, 2007, P 29.

تعكس الأرقام الواردة في الجدول السابق، حجم الإنجازات في مجال التعليم، والتي فرضها النمو السريع والمتزايد لعدد السكان. إذ تضاعف عدد المؤسسات التعليمية خمس مرات من 1966 الى 2006. ومن أجل تحسين ظروف **التعليم** والحد من ظاهرة الاكتظاظ في القاعات الدراسية، فقد **وضعت** الدولة برنامجا طموحا في مجال التربية والتعليم، في الفترة الممتدة من 2010 إلى 2014، حيث شمل إنجاز أكثر من 3000 مدرسة إبتدائية، 850 ثانوية و2000 بين إقامة داخلية Internat ومطعم مدرسي، **بميزانية مالية** قدرت بـ 852 مليار دينار El Djazair (Magazine, 2011, PP 18-19) وبالرغم من المجهودات الجبارة والاستثمارات **الكبيرة**، لا يزال قطاع التربية والتعليم في الجزائر يعاني من العديد من **الاختلالات** وأوجه القصور، لاسيما مشكلة الاكتظاظ الناتجة عن عدم استيعاب الهياكل المنجزة للتزايد المطرد في أعداد التلاميذ والطلبة. كما أن السياسة العمرانية المنتهجة لمواجهة العجز في المرافق المدرسية جعل المباني المدرسية في الجزائر تبدو متدنية من الناحية المعمارية ومفرغة من قيمها الاجتماعية والعمرانية، لم يؤخذ بعين الاعتبار في تصميمها المقاييس العمرانية والمناخية المناسبة لكل منطقة، ولا الخصوصيات الاجتماعية والقيم الثقافية للمجتمع. حيث غابت في أغلب المباني المدرسية المسحة الجمالية، وكذا التصميم الذي يكسبها هيبة وجاذبية.

وتشير معطيات الواقع والشواهد الميدانية إلى أن المباني المدرسية في الجزائر اليوم، تعاني من أزمة هوية معمارية، فالأسوار العالية والأبواب الحديدية المرتفعة التي تخفي ما بداخلها، أصبحت اليوم تشكل صورة نمطية للمباني المدرسية بالجزائر، مما يجعلها تشبه السجون في شكلها الخارجي، مثلما تظهره الصورتان رقم 7 و8.

الصورة رقم 7: تظهر الصورة النمطية للمباني المدرسية بالجزائر المستقلة

Source : http://www.vitaminedz.org/Photo/Photos_131_99360_39_1.html

فمظهر الأسوار العالية التي تطوّق المدارس والأبواب المرتفعة والشبابيك الحديدية (أنظر الصورة رقم: 8)، لا يبعث في النفس الطمأنينة والشعور والاحساس بالأمن، ولا يجعل من المدرسة مكاناً جذابا، يشعر فيه التلميذ بالراحة النفسية والرغبة الدراسية.

الصورة رقم 8: مظهر خارجي لإحدى الثانويات

Source: http://dz.worldmapz.com/photo/2705_de.htm

وانطلاقا من أهمية الشكل الخارجي للمبنى المدرسي، هناك توجه اليوم لاستخدام الألوان الزاهية في طلاء المدارس، وبصفة خاصة المدارس الابتدائية، لما لذلك من دور كبير في زيادة جاذبية المدرسة على المستوى النفسي الاجتماعي، وبالتالي زيادة الرغبة الدراسية لدى التلميذ، إلا أن واقع المدارس الجزائرية اليوم يظهر بجلاء عدم وجود اهتمام بهذا الجانب، بالرغم من أهميته، وهو ما توضحه الصورة رقم 8، والتي تظهر الشكل الخارجي الأنيق لمدرسة ابتدائية عصرية بعاصمة الامارات العربية دبي.

الصورة رقم 8: منظر خارجي لمدرسة ابتدائية عصرية بدبي

Source: https://www.linkedin.com/company/springdalesdubai

من جهة أخرى وبالرغم من وجود اشتراطات عامة لا بد من مراعاتها في تصميم المباني المدرسية في الجزائر، إلا أنها تبقى على المستوى النظري فقط ولا تترجم في الميدان، حيث يتم إنجاز بنايات معظمها قليلة الفعالية ومختلفة جدا فيما بينها من ناحية المظهر أو التركيب أو الحجم (شوقي قاسمي، 2009، ص 8). وقد شكلت الاختلالات المتعلقة بالجانب المعماري للمبنى المدرسي، عوامل مشجعة على ظهور العديد من الظواهر المرضية بالوسط المدرسي، فاكتظاظ الأقسام وازدحام التلاميذ داخل المدرسة يشجع على انتشار العنف والعدوانية، كما أن عدم توفر أسباب الراحة والامكانيات الضرورية للعملية البيداغوجية من مرافق رياضية ومكتبات وفضاءات للترفيه – خاصة بالمدارس الابتدائية- يشكل عاملا منفرا للتلاميذ يشجع على عدم تكيفه مع البيئة المدرسية ويؤثر سلبا على الأنشطة التعليمية، يضاف إلى ذلك وجود عدد كبير من المؤسسات التربوية في حالة سيئة جدا تحولت على إثرها إلى مباني هشة، كما تعاني أغلبية المدارس الجزائرية من انعدام التدفئة، وكذا المكيفات الهوائية بالنسبة للمدارس التي تقع في الجنوب.

وكنتيجة لهذا الوضع المتردي تشهد المدارس الجزائرية في السنوات الأخيرة تزايد مخيف لظاهرة الاعتداء والعنف ضد المعلمين من طرف التلاميذ، حيث كشفت وزارة التربية الجزائرية في دراسة أعدتها حول العنف في الوسط المدرسي، عن أرقام مخيفة حول الظاهرة، حيث تم إحصاء تعرض 4555 أستاذا إلى العنف من قبل التلاميذ سنة 2011. وتزداد هذه الظاهرة لدى تلاميذ مرحلة المتوسط الذين تورط 2899 منهم في التطاول على الأساتذة سواء جسديا أو عن طريق التلفظ بكلمات غير أخلاقية، مقابل 1455 تلميذا يدرسون في الطور الثانوي و201 تلميذا يدرسون في الطور الابتدائي (جريدة الجزائر نيوز، 2011).

ويشكل تنامي حالات الاعتداءات على المعلمين من طرف تلاميذهم مؤشرا تراجع قيم التعليم، فلم يعد المعلم هو النموذج للشخص صاحب المكانة والاحترام كما في السابق، وهو ما أكدته دراسة ميدانية حول صورة المعلم في ثقافة المجتمع الجزائري، حيث كشفت عن تدني قيمة وظيفة التعليم بصورة ملحوظة وبارزة، وانهيار مستمر لمكانة المعلم الاجتماعية وتراجع رهيب للنظرة للمعلم ووظيفته في المجتمع الجزائري (حبيب بن صافي، 2006). بالإضافة إلى ذلك تشهد المدرسة الجزائرية انخفاضا ملحوظا في المستوى التعليمي.

خلاصة:

يتضح لنا مما سبق أن الاهتمام بالمبنى المدرسي من حيث التصميم والهندسة المعمارية له فوائد كثيرة سواء من الناحية البيداغوجية، أو من حيث مساهمته في ضمان نسيج عمراني متوازن ومتناسق وظيفيا وجماليا واجتماعيا، كما يمكن القول أن الوقت قد حان لإعطاء أهمية للمباني المدرسية في الجزائر، بشكل يعكس قيمة وأهمية هذا المرفق الحيوي، فهناك حاجة إلى هندسة معمارية تجمع بين الاستدامة والابداع وتستجيب لكل المعايير والمتطلبات البيداغوجية، نحن بحاجة إلى تصاميم قوية وجميلة، تصاميم جديدة ومتميزة تعكس ابداعا معماريا ذو شخصية جزائرية. وبهذا نكون قد وضعنا حدا للتصاميم المستوردة التي تتبلور في أدبيات وفي أوساط وبيئات أجنبية لا تتماشى وخصوصية البيئة الجزائرية. كما يجب أن تواكب الهندسة المعمارية المدرسية التطورات الحاصلة في مجال البيداغوجيا خاصة فيما يتعلق بتقسيم الفضاءات داخل المدرسة، وذلك بشكل يساعد على نجاح العملية التعليمية ويقلل من الاختلالات ومظاهر الانحراف المرتبطة بها.

- المراجع:

أولا - مراجع باللغة العربية:

[1] الحلاق ندى، الكولونيالي في الشخصية المحلية في العمارة والعمران، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، المجلد الثامن والعشرون، العدد الأول، دمشق، سوريا، 2012.

[2] بكوش عمارة، الهندسة المعمارية المدرسية، مجلة إنسانيات، على الموقع:
http://insaniyat.revues.org/11984?lang=ar بتاريخ 2015/06/03.

[3] جريدة الجزائر نيوز الجزائرية الصادرة بتاريخ 2011/11/26.

[4] حبيب بن صافي، صورة المعلم في ثقافة المجتمع الجزائري، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة أبو بكر بلقايد بتلمسان، الجزائر، 2006.

[5] فاروق شوقي البوهي، التخطيط التربوي عملياته ومداخله وارتباطه بالتنمية والدور المتغير للمعلم، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2000.

[6] قاسمي شوقي، المبنى المدرسي ودوره في الارتقاء، ورقة مقدمة للملتقى الوطني الثاني حول واقع وآفاق اصلاح المنظومة التربوية بين التجارب المحلية والنماذج المحلية، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر 2009.

[7] محمد نهاد كردية، **الاعتبارات التصميمية للمبنى المدرسي والكلفة الانشائية والتأسيسية والتشغيلية نموذج في جنوب تركيا وآخر في الداخل السوري، مركز سورية للبحوث والدراسات**، على الموقع:
http://www.syriasc.net/ بتاريخ 2016/08/28.

ثانيا ـ مراجع باللغة الفرنسية:

[1] Giordan André, L’architecture scolaire, politique de l’éducation et innovations, bulletin de la C I I P, N° 14, Neuchâte, France, décembre 2004..

[2] Marchan Bruno, L’architecture scolaire, politique de l’éducation et innovations, Opcit.

[3] Chiffre Clé: Programme d’investissement 2010-2014, El Djazair Magazine N° 18, Mai 2011.